العدد (4102) السنة الخامسة عشرة - الأربعاء (3) كانون الثاني 2018
http://www.almadapaper.net Email: info@almadapaper.net

زيـــــــــــــــارة

علي الشوك

إنني حبيس الدار هذه الايام، لا استطيع أن أبرحها منذ أن خذلتني ساقاي. يأتي ياسين العبيدي للتداول في شؤون الطباعة، طباعة ما أكتبه عن الموسيقى؛ ثم يرافقني في المشي الى المتنزه أو قبله إذا كانت ساقاي لا تقويان على المشي، واكتشفتُ أنه يمتّ اليّ بصلة قربى عن طريق جدتي من جهة أبي. كانت عبيدية وذات عينين زرقاوين.

وكانت ابنتي زينب ترافقني في المشي عندما تكون في زيارتي، لكنني أبقى حبيس الدارمعظم الأيام. ثم جاءني نداء تلفوني أمس (في واقع الحال اليوم، فأنا أكتب هذه الخاطرة مساء). إنه صوت أعرفه جيداً، أسمعه في المناسبات. صوت يأتيني في الآونة الأخيرة من بغداد أو أربيل. إنه صوت عزيز جداً على سمعي، ويقترن بأعمق مشاعر المحبة... صوت الصديق فخري كريم.

((إه، أنت هنا؟)) قلت له.
((نعم، جئت في مناسبة نعي الراحلة بشرى برتو.))
((هل فارقت الحياة بشرى؟ إنهم يتساقطون الواحد بعد الآخر. وأنا بقيت وحيداً أبكيهم كلما سقط واحد منهم.))
ويخبرني فخري بأنه سيقوم بزيارتي غداً أو بعد غد. وتأخر الى ما بعد غد. كنت في انتظاره في نهار يوم ((غد))، لكنه لم يوافني بحضوره الى أن حان ما بعد الغد. كنت جالساً على كرسي ((الانتظار)) الذي أطلّ فيه من غرفتي الى الدنيا من خلف زجاج نافذة عريضة جداً تشغل مساحة كل جدار غرفتي المطلة على العالم من حي ايلينغ في لندن الغربية.
(إنني أكتب هذه الخاطرة في الساعة الخامسة صباحاً. وشعرتُ ببرد في قدميّ، فتذكرتُ الجورب. وتحاملتُ على نفسي لألتقط الجورب من غرفة نومي. أنا لا أزال قادراً، أحياناً، على ارتداء الجورب، وهي مهمة المُعينة، تنهض بها كل يوم عندما توافيني بحضورها صباح كل يوم.)
أحسستُ بتعب بعد كتابة صفحة كاملة ، فتركتُ القلم ورأيت أن أنعم بساعة راحة في الفراش. إنني أتصارع مع الموت كل يوم، مع أنني صرتُ أريد أن يوافيني بحضوره في أية لحظة، لأضع حداً لعذاباتي. لكنني اليوم أريد أن يصدّ عني بأي ثمن، لأنني أكتب هذه الأوراق عن زيارة صديق عزيز جداً.
قال لي عندما جاءني تلفون منه: ((أنا سأطلب سيارة أجرة، وآتيك وحدي.))
((لماذا، أين هم الأصدقاء؟ أين هو محيي وسؤدد؟))
((مشغولان، ولا يستطيعان التفرغ لنا.))
((هذا غير ممكن، إنهما صديقان رائعان.))
((نعم، لكنّ شاغلاً مهماً أقعدهما عن التفرغ اليّ واليك في هذه الساعة من النهار.))
لا أريد أن أدخل في تفاصيل وصوله اليّ التي لم تتم إلا باستعمال التلفون عدة مرات، واضطراري أن أذكر اسم الشارع المجاور لشارعنا. ففخري ليس من لندن، وهذا اقتضاني أن أخرج متكئاً على عصاي لأقف على رصفة الباب عندما شاهدت من النافذة سيارة وصلت الى الشارع. كان النهار بارداً، وأنا تخلصتُ حديثاً من رشح ألمّ بي.
وأخيراً عناق، ودخلنا شقتي لأتهالك على كرسيي بعد أن التمست من فخري الجلوس.
إنه هو أيضاً دبّت اليه الشيخوخة (بعد حين أكد لي أنه بلغ الخامسة والسبعين.)
((هل تشرب شيئاً؟))
((أترك الشرب الآن. حدثني كيف أنت؟))
كنت دائماً أكرر مع نفسي كلمات بالانكليزية مفادها ((Time irreversible)) لكنني لم أقلها له. لا أدري ماذا قلت له، سوى أنني تذكرت في شريط دار في رأسي كل تلك المناسبات التي كنت التقي فيها معه، وينهض من بينها لقاء لنا في براغ تمّ في العام ١٩٨١. كنتُ لاجئاً الى براغ بفضل عناية أصدقائي الشيوعيين العراقيين، والشيوعيين التشيك. وكان ما لدي من مال في طريقه الى النضوب، وأنا يومئذ كنتُ خارج التنظيم ((الشيوعي)). فكنتُ أعامل كصديق وليس كرفيق، وهذا يعني أنني كنت أتحمل وحدي مهمة تدبير معاشي.
في ذلك اللقاء في براغ سألني الصديق فخري كريم:
((كيف تدبر حالك؟))
((أنا خارج التنظيم، كما ترى، وأوشك أن أنضب ماليا.))
((إسمع، اترك المسألة لي. سأجد لك حلاً خارج التنظيم، لأنك خارج التنظيم...)) ولم يُفصح أكثر من ذلك.بعد أيام، ولعلها أسابيع، لا أذكر، جاءني نداء منه لا أدري من أين، أكد لي فيه أنه اتصل شخصياً بياسر عرفات، لعل ذلك كان في بيروت، وطرح موضوعي عليه، فأخبره السيد ياسر عرفات بأنني سأكون تحت رعاية منظمة التحرير الفلسطينية أينما كنت، ولأذهب الآن الى بودابست لأن فرع منظمة التحرير الفلسطينية في هذه الأيام تسلم إيعازاً من السيد ياسر عرفات بأن أحسب على ملاكهم.
آه، ياإلهي، ما أروع هذه العلاقات الكفاحية. وبعد يومين تسلمتُ نداء من بودابست بأن مسؤول منظمة التحرير في هذه المدينة سيكون في انتظاري في المطار في موعد معين.
هورا.
مضى على هذا التأريخ سبعة وثلاثون عاماً. ومضت أحداث جمة وبعضها خطير. وأنا كنت ألتقي بالصديق فخري كريم بين حين وآخر. ونشأت لي علاقة حميمة مع الأخوان الفلسطينيين، تعرفت في غضون ذلك بأشخاص من بينهم فيصل دراج ومريد البرغوثي وزوجته الراحلة رضوى عاشور الكاتبة.
لكن لقاءاتي بالصديق فخري كريم ظلت لها نكهتها الخاصة، فقد تم التعارف بيننا ربما منذ الستينيات من القرن الماضي، عندما كنت ألتقي بالرفيق الراحل عدنان البراك، وأذكر أن الرفيق عدنان أخبرنا ذات يوم عن لقائه بشاب واعد اسمه فخري كريم. ولابدّ انني التقيت بفخري منذ تلك السنوات الستينية. فأنا أذكر أنه أودع عندي مجموعة من الاسطوانات الكلاسيكية عندما غادر العراق. لا أدري إن كان ذلك حدث بالفعل، لكنه ماثل في ذاكرتي.
تلفن الصديق محيي لفخري يسأله عنا وكيف ندبر أمرنا، فهو يعلم أنني متعب وقد لا استطيع أن أتحرك لأقوم بواجب الضيافة (ففخري ضيفنا after all).
ويبدو أن فخري طمأنه بأن لا يقلق من هذه الناحية، لكن محيي عاد فتلفن مرة أخرى بعد نصف ساعة. لعله يشعر بتأنيب ضمير لأنه تركنا دون أن يكون في مقدوره الالتحاق بنا. لكنه أرسل الينا شقيقته لتحمل الينا غداءنا، وكان وقت الغداء قد حان قبل ذلك بساعة أو ساعتين.
كان الغداء يشتمل على عكوس، ومرقة باميا، ومرقة فاصوليا يابسة، ورز. وزّع فخري الطعام في صحنينا. وعلى مائدة الغداء دار الحديث عن كتابي عن المسيح الذي أرسلته الى فخري ليبدي رأيه فيه، ويقوم بطبعه في مطابع دار المدى إذا لم تكن لديه ملاحظات عليه.
الكتاب مدهش، على حد قوله، أو لعله قال إنني أنا المدهش. وأعرب عن إعجابه به، واستعداده لنشره. لكنه استدرك قائلاً إن الكتاب يمكن أن يثير حفيظة أعداد كبيرة من القراء المسيحيين. لأنني ذكرتُ آراءً يمكن أن تجرح المشاعر المسيحية، بما في ذلك أن هناك زعماً يذهب الى أن المسيح ربما كان ((أبوه)) عسكرياً رومانياً. لذلك يرى الصديق فخري أن يطبع من الكتاب عدد محدود من النسخ. لتقليل ردود الأفعال المتحفظة على الكتاب. ولم يكن لدي مانع.
وسأضيف الآتي الى هذه الكلمة: تكلمتُ مع ابنتي زينب هاتفياً، وهي تقيم في كندا. ثم رأيتُ أن تحيي الصديق فخري. فأتحتُ له أن يكلمها، وسمعتُ نتفاً من كلامه معها. إقترح في سياق كلامه معها أن تسعى الى استقدامي الى كندا لأقضي بقية أيامي في صحبتها، فرحبتْ بالفكرة، ووعدت أن تتصل باتحاد الكتّاب الكنديين، حسب نصيحة الصديق فخري، بأمل تيسير مهمة انتقالي الى كندا... آه، لا أدري، إن هذا المشروع يأتي في صالحي، لكنني اعتقد أن الأوان قد فات.

منطقة محررة

▪ نجم والي

هجرة الهجرات

هل يمكن الحديث عن الهجرة، عن الفرار والحركة، عن انتقال الشعوب والأشخاص بدون النبي إبراهيم: هذه الشخصية الإستثنائية، التي يتفق الجميع على الانتماء إليها، من غير المهم ما اختلفوا عليه من أمور أخرى، أو ما واجهوه من مصائر وأقدار، بل من غير المهم ما تبقى في عروقهم من دم يجري وما إدعوه من أصول وأنساب؟ فهو أبو البشرية مرّة، وفي المرّة الأخرى راعيها، له وحده يبتهل المؤمنون من كل الأديان والمذاهب أن يهديهم الله على طريقه، طريق "الصراط المستقيم"، "وجهت وجهي وسلمت أمري إلى ربِ العالمين، فاطر السماوات والأرض، لا إله إلا هو وحده، وما أنا إلا حنيفا مسلما على ملة ابراهيم"، كان جدي من ناحية والدي يردد ثم يكمل بعدها: "ربي أهدنا على الصراط المستقيم، صراط ملة إبراهيم"، ولا أظن أن جدي الذي عمل بستنجياً في مقبرة الإنكليز في العمارة منذ أن كان في الرابعة عشرة من عمره وحتى تقاعده، فعل ذلك وحده، ملايين البشر رددوا ذات الدعاء أو ما شابه للنبي إبراهيم، أكثر الشخصيات الأسطورية شهرة، وأعظمها مكانة دينية، في أدبيات الأديان العالمية الثلاثة، اليهودية والمسيحية والإسلام، فهو بعد آدم، يُعد الوالد الشرعي للبشرية، ولكل أولئك الذين يؤمنون بالتوحيد، أب كل أولئك الأنبياء الذين ظهروا في غرب آسيا خاصة، الرسل الثلاثة بالذات، العديد من أتباع الديانات التوحيدية، حتى تلك التي هي خارج الديانات الرسمية الثلاثة، الصابئية مثلاً، يحملون أسمه وإن بصيغ مختلفة، هو أبرام أو إبرام عند اليهود، آبراهام أو براهام عند المسيح، وإبراهيم عند المسلمين والصابئية. النبي إبراهيم، هذه الشخصية الاستثنائية، لسنا هنا بصدد تفاصيل حياته، لكن يظل الأمر الوحيد الثابت الذي لا يختلف عليه اثنان هو قصة هجرته المعروفة، التي يمكن تسميتها هجرة الهجرات، هجرته التي هي خلاصة فعلية لكل ما حدث لاحقا عبر التاريخ من هجرات: فرار وحركة. بكل ما يحمله الفرار من معان مرادفة، لها علاقة بإنقاذ النفس من تهديد طبيعي أم اجتماعي، من مجاعة أو حربٍ أو تهديد حاكم مستبد، بكل ما له علاقة بإنقاذ الحياة، بل بكل ما تحمله كلمة حركة من معاني تشير إليها، من ذهاب وإياب، هجرة وعودة وانتقال. بالإضافة إلى ماروته الأديان السماوية الثلاثة عنه، تحدثت جميع المدونات الدينية، التي لها صلة بالأقوام التي عاشت في غرب آسيا، من أور السومرية مروراً بحاران وأورفة، ثم بدمشق وفلسطين ومصر، جميع هذه المدونات التي هي بمثابة وثائق "تاريخية" التي وصلت إلينا، تحدثت عنه وإن لم تذكره بالإسم، كما ذلك النص السومري القديم، الذي جاء على لسان شاعر سومري، والذي يتحدث فيه عن نهاية أور السومرية هذه، وما حدث فيها في أواخر سنوات حكم الملك أورنمو (النمرود) في أواسط القرن العشرين قبل الميلاد، أي في الوقت الذي يُفترض فيه شروع إبراهيم في هجرته ومعه، أبوه الطاعن بالسن تارح (آزر في سورة الأنعام/٧٤) ولوط إبن أخيه هاران، وزوجته سارة، بعد تعرض عاصمة السومريين أور إلى هزيمتين عنيفتين على يد العيلاميين والأموريين، رغم أن النص لا يذكر إبراهيم بالإسم، إلا أنه لا يبخل برواية ما له علاقة بالقصة ، وكأن الشخصية التي يصفها، ليست غير شخصية إبراهيم، يقول الشاعر السومري: فارق الفحل مقره وتفرق قطيعه مع الرياح، ثم يعدد بعدها أسماء المدن السومرية الكبرى وهو ينعي مصيرها، لينتقل بعدها إلى وصف قرار السماء (لعنتها) بدمارها وسفك دماء أهلها، وكيف أن نحيب الناس استمر وأمتلأت الطرق بجثث القتلى الذين حطمتهم الرماح والمقامع وظلوا حتى أذابت الشمس شحومهم، أما من نجوا فقد ذلوا، حتى تخلت الأم عن ابنتها وهجر الأبُ ولده وفارقت الزوجة زوجها. وما يؤيد الاعتقاد بأن الفحل المعني من الجائز جداً أن يكون إبراهيم، هو قرابة الفترة الزمنية التي عاش فيها إبراهيم، مثلما يمنح النص الخلفية المقنعة لهجرة إبراهيم، لأن أن يهاجر أحد من مكان ما، أن يهرب لابد وأن تكون عنده أسبابه، خاصة وأن إبراهيم هنا يغادر أرض وادي الرافدين، جنوبه المعروف بخصوبته وثرائه، والذي كان حاضنة لهجرة شعوب أخرى إليه وليس العكس، ومثلما ارتبطت الهجرة الثانية لإبراهيم من فلسطين إلى مصر بعلاقتها بالمجاعة "السنين العجاف" التي ضربت الشام آنذاك، فإن الحرب التي تعرضت لها أور السومرية واجتياح الجيوش لها كانت هي السبب وراء هجرته الأولى. فهل أختلف سبب الهجرات اليوم؟ آلاف المهاجرين يهربون اليوم لهذا السبب من آسيا وأفريقيا وفي كل مكان. والسبب واحد دائما: الحرب أو المجاعة. كأننا نعود من جديد لزمن هجرة الهجرات. زمن النبي إبراهيم.

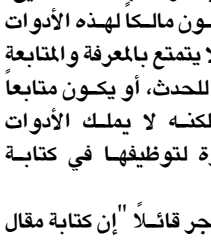

ما يؤيد الاعتقاد بأن الفحل المعني من الجائز جداً أن يكون إبراهيم، هو قرابة الفترة الزمنية التي عاش فيها إبراهيم، مثلما يمنح النص الخلفية المقنعة لهجرة إبراهيم.

قصر الثقافة والفنون يستذكر الشاعر كزار حنتوش

متابعة المدى

بحضور جمع غفير من المثقفين والشعراء والأدباء استذكر قصر الثقافة والفنون في الديوانية، بالتعاون مع اتحاد الأدباء والكتاب، الشاعر كزار حنتوش، يوم ٣٠ من كانون الأول الجاري، أدار الجلسة رئيس اتحاد الأدباء والكتاب في الديوانية ثامر أمين.
قدم أمين نبذة مختصرة عن حياة الشاعر العراقي كزار حنتوش، وهو مواليد الدغارة في محافظة الديوانية، ودرس بمدرسة الديوانية الابتدائية عام ١٩٥٣، ومن ثم أتم دراسته في ثانوية الديوانية للبنين عام ١٩٦٨ حتى تخرج من معهد الهندسة العالي. كان حنتوش يستمد شاعريته ومخزونه الشعري من شط الديوانية والجسر الخشبي والسوق القديم ومكتبة عارف والمكتبة العامة، حسب شهادة أصدقائه ومحبيه انه عطاء أدبي وثقافي لا حدود له، امتازت قصائد حنتوش باهتمامها بالطقس الشعبي وبلغة تفرد بها دون غيره من الشعراء، لما فيها من سلاسة اللفظ وعمق المعنى وجمالية الصورة الشعرية.
تخلل الأمسية قراءات شعرية لقصائد الشاعر مع شهادات استذكارية بحقه.

عدد جديد من مجلة الموروث الثقافية

متابعة المدى

صدر عن دار الكتب والوثائق الوطنية في وزارة الثقافة العدد (١١٧) من مجلة الموروث الثقافية الالكترونية الشهرية التي تعنى بالموروث الثقافي المادي وغير المادي للعراق، وتضمن العدد كتابات تنشر للمرة الأولى على شبكة الانترنت معتمدةً على كتب محفوظة في خزائن الدار، فضلاً عما يردها من الكتّاب والأكاديميين من مقالات ودراسات قيّمة.
ضمّ العدد الجديد العديد من الموضوعات منها، الوكيل الأقدم لوزارة الثقافة الدكتور جابر الجابري يترأس الاجتماع الدوري للجنة استرداد الممتلكات الثقافية العراقية، السفير البولندي يستقبل المدير العام لدار الكتب والوثائق، ورشة عمل متخصصة في شرح مضامين قانون حفظ الوثائق، عمود (طير السعد) لمديرة التحرير أسماء محمد مصطفى، الإبداع هو الجائزة، لطفي الخوري والدراسات الفولكلورية في العراق بقلم الدكتور إبراهيم العلاف، ذاكرة مكان، عمود الإنارة العتيد، العصافير والحمام بقلم صباح محسن جاسم، المقاهي البغدادية في فيلم وثائقي بقلم تضامن عبد المحسن، تعقيب على عمود طير السعد للعدد الفائت والمعنون (الماضي والحاضر يتحاوران باتجاه المستقبل) الأزمنة الثلاثة بين الحاج وإخلاصي وأسماء مصطفى بقلم عكاب سالم الطاهر، القصة القصيرة في صلاح الدين عرض سندس الدهاس، سامي قفطان وفوزي مهدي في النهر بقلم الناقد السينمائي مهدي عباس، الأميرة الأكدية انخيدوانا أول شاعرة في التاريخ وشكسبير الأدب السومري، الحفاظ على التراث البغدادي ضرورة وطنية، ورشة عمل تطويرية الكترونية في فن الرسم للمواهب الواعدة يقيمها مرسم مكتبة الأجيال التابعة إلى دار الكتب والوثائق، أزياء مستوحاة من حضارة العراق للمصممة شروق الخزعلي.

عن المقال الساخرة

رابطة النقّاد والاكاديميين تضيف مي أبو جلود

بغداد/ المدى

على اقتناص ما هو استثنائي ومُغاير. "المحتفى بها مي أبو جلود، كاتبة للعديد من المقالات التي تضمنت "حموت .. حنتحر.. حهاجر، وكارت أحمر، الحب أن تسرق، أنا امرأة... أنا ضد البايسكلات." ومقالات اخرى، قدمت المحتفى بها مجموعة قراءات لهذه المقالات، وتحدثت عن تأثير تجربتها الحياتية الخاصة في كتابة مقالات كهذه... تضمنت الجلسة عدة مداخلات منها للناقد علي حسن الفواز الذي قال " لأن المحاضرة غاية في المتعة لأن الكاتبة قدمت لنا ما هو جديد واستثنائي." ذاكراً أن كل البلاد العربية التي حاولت ان تحافظ وتحمي اللغة العربية أو تعري مخالفيها، انطلقت من الاحتجاج الساخر على مستخدميها بطريقة خاطئة."
وأكد الفواز قائلاً "في بلادنا يُهيمن المُقدس، ولم يتواجد لدينا اي كاتب حتى الآن يتجاوز هذه الهيمنة؟، نحن بحاجة لكاتب يضع السرديات في سياق أدبي استثنائي ومميز."
وأشاد الفواز بأسلوب المحاضرة أبو جلود ذاكراً "إنها تقدم محاضرتها بشيء من اللذة والتميّز في إسلوب يجب الاعتراف بأنه لم يتطرق له أحد مسبقاً." مُشيراً الى "الدراسة والبنية والإسلوب الادبي والثقافي العالي والرصين، والمعرفة بما تقدمه الكاتبة."
وأعاد مقدم الجلسة الخليلي قراءة جانب من مقدمة أبو جلود حول مقالها الذي ذكرت فيه أنها تعشق إسمها الخفيف السهل اللفظ حتى على لسان الاطفال، فهو اسم يشبه خرير الماء.. اسمها منتشر في العديد من الثقافات ... تضمنت الجلسة مداخلة أخرى للكاتب عبد الامير المجر، الذي أشار إلى استثنائية الجلسة متطرقاً الى مثال عن السخرية وهو شارلي شابلن، وذكر المجر "أن الكتابات الساخرة تعاني من شيئين فأما أن يكون كاتب المقال الساخرة عارف ومتابع ويرى الامور بعمق بحيث يستطيع تصويب أدواته بشكل صحيح، أو أن يكون مالكاً لهذه الأدوات إلا إنه لا يتمتع بالمعرفة والمتابعة الجيدة للحدث، أو يكون متابعاً مميزاً لكنه لا يملك الأدوات الساخرة لتوظيفها في كتابة المقال."
وأكد المجر قائلاً "إن كتابة مقال ساخر يحتاج لتوفر عنصري الذكاء والوعي، فالكاتب الساخر الذي لا يمتلك هاتين الأداتين ولايمتلك عمق الرؤى ولن يستطيع أن يصل للمتلقي بشكل صحيح."